لم يُلْهِه عُمْرَهُ عين يُفجّرها ولا النخيل ولا ركض البراذين

ويصفه بأنه يختلف عن غيره من الخلفاء فى جدّه وتقواه ، وحرصه على أموال الرعية ، وبسطه العدل والقسطاس بين المسلمين . وهذه حجة قوية يدلى بها الفرزدق فى بيان سيرة سياسية لخليفة أموىّ .

وقد دخل هؤلاء الشعراء كذلك فيما كان بين قيس وتغلب منذ القديم من عصبية وتنافس فى توجيه السياسة . وكان الأخطل أشدهم براعة فى إثارة النعرة وإيقاظ الفتنة وبعث الدفين من العواطف ، فدارت بينه وبين جرير قصائد كثيرة حول هذا الموضوع ، فكان جرير لسان قيس ، ووقف الأخطل مع تغلب بنى قومه . وقام الفرزدق بنصيبه فى هذه المعركة السياسية ، فعاشت الإقليمية — كما نقول اليوم — واستيقظت العصبية الجاهلية ، وعاد الناس القهقرى يسمعون شعراً كان يسمعه أجدادهم من قبل ، وأصبح الشعر فى خدمة الأمير والقائد والوالى على مختلف الأقاليم الإسلامية . ذلك لأنهم كانوا يمثلون الخليفة فى حكمه ، وينطقون باسمه فى سياسته . وقد رأينا مديحاً لهؤلاء فى أبواب سابقة ، كالحجاج وابن الأشعث ويزيد بن المهلب وقتيبة بن مسلم ، حتى إن بعض الشعراء لزم والياً أو قائداً أو أميراً ، كما يلزم خليفة أو ملكاً ، فازداد بذلك المديح السياسى وتشعب ، وكثرت أغراضه وتنوعت أساليبه ، وقبل فى هؤلاء من المديح الإدارى والسياسى ما لو قيل فى الحكام المعاصرين لأثابوا عليه الصحابة والأنصار ، فقد قال جرير فى الحجاج :

من سَدَّ مُطَّلع النفاق عليكم أَم من يصول كصولة الحجّاج
أَم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأَزواجِ
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضى البصيرة واضح المنهاج
مَنَع الرُّشا وأَراكم سبل الهدى واللّصّ نكَّله عن الإدلاجِ